المرأة الجزائرية و القوانين العرفية للمجتمع القبائلي خلال القرن ١٩

د. يسمينة سعودي (*)

ملخص:

تعد المرأة اللبنة الأساسية لأي مجتمع، فهي العمود الفقري لها، إذ تعتبر الدعامة للبيت في المجتمع القبائلي، الذي خصها في قوانينه العرفية المسيرة لشؤونه العامة، بعدة قوانين تحفظ كرامتها و كرامة أهلها و زوجها، و تحترم السير الحسن للقرية، فإن حملت هذه القوانين الحقوق للمرأة، فإنها نهتها من الخروج عن طاعة زوجها و قريتها، فإن لم تحترم ذلك فهي معرضة للعقوبة مثلها مثل الرجل، وما يأخذ عن هذه القوانين العرفية هو حرمانها" المرأة" من الميراث.

الكلمات المفتاحية:

المرأة، المجتمع القبائلي، المجتمع المشدالي، القوانين العرفية، الحرمان ، الميراث، الظروف الإجتماعية.

******

لما كانت القبيلة والجماعة، القوة الرادعة لكل محاولة خارجية لإسقاطها، لما تتميز به مجتمعاتها من تماسك، ونشاط حيوي، فكرت الإدارة الفرنسية بالقضاء على هذه الحيوية، بكل ما أتيح لها من طرق وآليات لا تقل عن السياسات السابقة التي شهدتها الجزائر منذ الإحتلال سنة ١٨٣٠، مثل "فرق تسد" و"الأرض المحروقة" التي طبقها الجنيرال بيجو بالخصوص، لأجل خلق وحدات ادارية تكون عناصرها في قبضته، من أجل المراقبة والتحكم في الأهالي، وبتوجيهها إلى ما يخدم مشاريع الإدارة الاستئصالية والتغريبية بالمنطقة، كما سعت إلى تأجيج الفروق والإستثمار في الثغرات القبلية وتنمية فكرها، لإفراغ معنى "القبيلة" ومحتواها المتمثل في التكتل والتكافل الإجتماعي الذي كان أهم دعائمه المرأة.

(*)قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر٢ أبو القاسم سعد الله

فربطت علاقة النسب بين القرى، والأشخاص فهو الأسلوب الذي إستعمله مثلا، المرابطون لإستمالة أهل مشدالة، وبِنية الظفر بالإحترام والمكانة بين سكانها، قامت بجلب طلبة المدارس القرآنية المسماة بـ "ثمعمرين" مفردة "ثمعمرث" إليها، وبذلك سمحت لها بالاحتكاك مع مشدالة ، ورُبطت علاقة النسب من هذه العائلات الشريفة، التي بدأت تتزوج بغير المرابطات القبائليات، ولكن العكس غير وارد، فلا يمكن لمرابطة أن تقترن بقبائلي لا ينتمى إلى المرابطين، فالأستاذ سعيد شيبان يقول في سبب ذلك: «*أن المرابطات متحجبات، فالقبائلي يجبر القبائلية للعمل خارج المنزل، فتمارس أعمال البستنة، التحطيب.... في الخلاء، بينما المرابط غير ذلك فالمرأة عنده متحجبة*» [١]إلا أن السيد هنية نفى هذا الرأي الذي يعتبره مساسا بكرامة القبائلية فيقول:« *المرابط هو التعقل... والحجاب، والإحترام، فكيف ذلك وجدتي القائمة على شؤون البيت تشرف على تقسيم الأدوار على عرائسها، وعند حلول الليل تأخذ البندقية وتنزل إلى الوادي.. وتقوم بقطع الفلفل الأحمر،... تصوري مرابطة كجدتي تهتم ب ٥٠٠ رأس غنم، ونحن لا نملك الزيتون لكن جدتي تهتم ب ٤٠٠ خلية نحل* » ويضيف عن المرابطية أي " ثِرُبْظَة" بالقبائلية فهي:« *معرفة وعلم... وعليهم أن لا يخلقوا لنا أشياء لم نرها، ولا يمكن رؤيتها* »[٢] وهنا يمكن القول إن كان الأستاذ سعيد شيبان يقصد الحجاب الشرعي، فالمشدالية القبائلية هي أول من حافظت على لباسها التقليدي من الجبة والكسيوة الطويلة، أوما يعرف بـ"ثَقَنْدُورْثْ أَكْ تَكْسِيوْثْ"، و"الفوظة"، و"المحرمة"، فلا تخرج إلا وهي مرتدية هذا اللباس، الذي يعد لباساها اليومي، وإذا قصد قضية عمل المشدالية القبائلية خارج البيت عكس المرابطية، فكيف نفسر قول هنية الذي ينتمي لأهم العائلات المرابطية بوادي الساحل (ببوجليل) وهي عائلة "إشنتيرن"[٣] أن تقوم جدته المرابطية، التي تنتمي إلى عائلات الأعيان أيضا، مقام إمرأة الدار، ومقام الرجل بدوره في الخلاء، وهي أعمال لا يقوم بها إلا الرجال، فإن صدق قول الأول (الأستاذ شيبان) فلا يخفى هذا عن أي واحد منا، فكيف لا ؟ والقبائلي صودرت كل أراضيه بفعل الاحتلال، وظروف الحياة صعبة تحت ويلات الإستيطان، حتمت على القبائلية أن تساعد وتعيل زوجها وعائلتها، بينما معظم هؤلاء المرابطين هم مالكو الزوايا التي سخرت القبائلي لخدمتهم هم وعائلاتهم، وبعد ذلك إنضموا لخدمة السلطة

الفرنسية، التي منحت لهم كل وسائل الراحة من أموال وأراض... فلهذا فلا حاجة للمرابطة الخروج إلى الخلاء للعمل.

وَلعْنَايَة في تعريف هانوطو ولوتورنو، هو الحماية التي يوفرها فرد، أوصف أوقرية أو قبيلة لشخص أولعدة أشخاص [٤]، وهذا ما يفسر لنا التحام الصف القبائلي عموما وارتباطه بنظامه التقليدي، كما يمكن أن نشير إلى أن هذه المنطقة التي لم تكن يوما تحت أي سلطة ، فهي في الحقيقة كانت تحت سلطة روحية هي "لعناية "، التي يمكن تطبيقها في حق المسافرين والأجانب الذين يطلبون ذلك من أجل المرور بإقليمها بدون خوف، وحتى وإن كانت هناك خصومات ومنازعات بين القبائل[٥].

وإن مبدأ "لعناية" الذي نجده عند سكان مشدالة خاصة ومنطقة القبائل عامة، والذي لا يقدر بأي ثمن كونه ليس سلعة للبيع والمراهنة، ولا يدر لأصحابها أي غنى مادي، إلا أن هذا لا ينفي حسب بورديو Bourdieu[٦]،أن يتحصلوا على إحرازات معنوية رمزية ذات دلالات إنسانية (عالمية)، وهو ما جعل العروش التي عرفت بأسواقها التجارية،كآث عباس بوادي الساحل أن تمارس هذا الحق على قاصديها. والذي يمكن إعتباره متعلقا ومرتبطا مباشرة بقضية الشرف، الذي يعتز بها كل عرش من عروش منطقة القبائل.

وإذ كان مبدأ "لعناية" عند العروش معنويًا، فإن "لعناية" عند المرابطين روحية، ترتبط بالدين الإسلامي أكثر، فالعرش عندئذ يستعمل عنايته من أجل فض الخصومات بين العروش، أو بين الأشخاص كما يسميه "آلان مايي" ديبلوماسيا ، فهو الذي يأخذ صفة القاضي الروحي المعنوي [٧]، وبذلك نقف عند المقاربة التي يمكن أن تجعل مبدأ "لعناية" في كف القبائلي شرفاً له، أما المرابط فهي "بركة" له.

كما نشير إلى مكانة المرأة في مبدأ "لعناية"، الذي تمارسه في حق من يطلبها، فهو شرف مضاعف[٨]

وشرف للرجل، حيث لا يمكن التعدي عليه، وإن حدث ذلك، فهو تعدٍّ على"نيف وحرمة وأنفة" الرجل، أما التعدي بالنسبة للمبدأ في حد ذاته، فهو تعدٍّ على شرف القبيلة، فالمرأة بذلك مركب متجانس ومتعدد التوجهات. ولكن ما يؤاخذ عنه "آلان مايي" في تناوله لهذه النقطة، استعماله لكلمة "اللائيكي"بالنسبة للقبائليين

عموما، ليميزهم عن المرابطين الذين إعتبرهم قضاة لخصومات اللائكيين،(وهم القبائليون في نظره). فاللائكية بمعناها الإصطلاحي، هي الخروج عن الدين، فهي كل شخص غير خاضع للمفاهيم الدينية، وبمفهوم الغرب هو فصل الدين عن الدولة، ومن هذا المنطلق سنحاول تصحيح هذا المفهوم، إذ أن القبائلي والمشدالي خصوصا يدين بالإسلام، وما القوانين العرفية لعروشه التي سنراها لاحقا، إلا حجة في أنها مستوحاه من تعاليم الدين الإسلامي، فبذلك لا يمكن أن يكون المرابط هو حامل الرسالة المحمدية للسكان، فالقبائليون هم من إستعملوا مبدأ "لعناية" على المرابط للإستقرار في أراضيهم، لذلك فالقبائلي والمرابطي، كلاهما على ديانة الإسلام، فلا يمكن عندئذ التمايز بهذين المصطلحين.

ليحظى الرجل في تقاليد المجتمع القبائلي عموما والمشدالي خصوصا، خلاف المرأة بكل تقدير حيث يعتبر المسير للقانون وهو الذي يضعه حسب رغبته[٩]، وبذلك فهو الآمر والناهي للمرأة ليجعلها تحت خدمته، ويعتبر وجودها وجودا لإرضائه والنظر في احتياجاته، كما أنه من طقوس الحياة في منطقة القبائل أن تكون كلمة الرجل أعلى من كلمة المرأة على الدوام وهو ركن من أركان الحياة الزوجية [١٠] كما أنه كثيرا ما يتّصف هذا الرجل بالرحمة والحكمة، ويضرب به المثل بالقرية، كما يمكن أن تتغير طباعه ليتحوَّل إلى شخص شرس إذا ما تقدم شخص آخر لإيذائه.

يتميز أهل القبائل بكثير من الكرم إذ قال حمدان خوجة "يكرمون ضيفهم باللحم وهم في أمس الحاجة للغذاء"[١١]، أضف إلى فضائلهم، الشرف الذي يقدسونه، فتحدث الحروب عند إنتهاكه، بل تنقسم القرى أحزابا وجماعات[١٢] وهو ما نجده في فتنة مريم....ويتميز جلّهم بالأدب، وإن كان في بعضهم عنف فإن القوانين العرفية تردعهم، فيغرم الرجل الذي يوجه كلاما بذيئا للمرأة بأربعة ريالات، كما تغرم المرأة بدورها في حالة شتمها للرجال بريالين، ولجماعة من الرجال، بستة ريالات[١٣].

إضافة إلى أنَه يتربى على الفضائل ومكارم الأخلاق، ويكتسب خُلق التضامن في أوقات الشدائد، ويعمل على تكريس العدالة الإجتماعية، والإخلاص في المعاملات، ومحاربة الرشوة، وعدم أكل أموال الناس بالباطل، ويتعلَّم فنون القتال بكل صرامة، حتى يأخذ الأمور بمحمل الجد، إذ يخصص له السوق في أول يوم

خروجه من البيت، لشراء رأس ثور، حتى يكون الرأس المدبر للقرية مستقبلا، وعند صيامه لأول مرة، يتم الإحتفال بذلك، وتمنح له البندقية، التي تمثل لهم رمز الرجولة والشجاعة، كما أنه ممنوع من الخطأ، وإذا إرتكبه فإنّه يتحمل نتائجه، سواء بدفع الغرامات[١٤] أوبطرده من القرية منبوذا.

فرغم هذا العرف الذي يقال أنه كبل المرأة والذي سنراه محللين بنوده، فإن المرأة تمثل العمود الفقري الذي يقف عليه البيت، حتى أن الكثير لا يستطيع الإستغناء عنها، فبدونها فالبيت بلا دعامة، إذ يراها دوماس " أبهة المنزل" [١٥]، لكن ذلك لا يعني أن هذا الاعتقاد هو الساري لأن حقيقة واقع المرأة لا يكترث بها أحد، إلا صاحبة الشأن، إذ قيدت المرأة بالمنطقة بعدة قيود، من عادات وتقاليد لا يجب الخروج عنها، وإلا فإنها ستصبح مضربا للسخرية، فكيف لا والشقاء كتب على جبينها منذ ميلادها، إذ يعتبر ذلك اليوم حزنا وغمًّا على العائلة، لا زغاريد ولا بارود، ولكن تربى تربية صارمة على مفاهيم الحرمة، والعيب، والشرف ، والحشمة والحرام...[١٦] لتعيش مرحلة الكبر. وهي طفلة . على القلق الشديد بسبب شرفها الذي يعتبر عبئا كبيرا وثقيلا على العائلة[١٧]، التي تحرص على التخلص منها بتزويجها وهي إبنة التاسعة أو العاشرة من العمر بدون إستشارتها في ذلك، ويتكفل الأب بكل شيء وإذا غاب فالدور للأخوة أو الأعمام عند تزويجها[١٨].

وبذلك تبدأ المرأة حياتها في بناء الأسرة، فيعمرها الفرح إن رزقت مولودا ذكرا، والعكس إن رزقت طفلةً، أما إذا كانت عاقرا فإنها تُقابَل بسوء، وعلى الأسرة عندئذ التخلص منها، وغرس أخرى مكانها، لتلد الأطفال.

تعيش المرأة على العموم في إنجاز الأعمال وإتقانها، بل ويكون جمالها محل نزاع بين الرجال يصل إلى حد الحروب وهو ما رأيناه في جمال مريم التي كانت محل نزاع بين عروش مشدالة.

أما فيما يخص مصيرها عند الطلاق، فهو متوقف على قرار الزوج، إن أراد الفراق أو الإحتفاظ بها، أوحتى عدم التفريط فيها إن أراد معاقبتها، وإذا أصّرت الزوجة على الطلاق، والزوج رفض ذلك، فإنها تغادر البيت، وتعرف بالمنطقة "تمنافقت" أي المتمردة، ويفقد بذلك الأب حق التصرف في أمرها[١٩]،وفي الحالات الطبيعية إن اختفى الزوج، فإن الزوجة لن تتزوج حتى تثبت وفاته، وهناك أمثلة

كثيرة عن ذلك، مثال المرأة التي انتظرت زوجها المنفي إلى" كايان" [٢٠]وحكم عليه بعشرين سنة، وقد إنتظرت الزوجة زوجها مدة، إلى أن غابت أخباره عن الأهل[٢١]فنظر أهل الزوج في مصير زوجة الابن المنفي، فقرروا أن يعيدوا تزويجها لإبنهم الثاني[٢٢]والإحتفاظ بالمرأة لأنهم مقتنعون بمكارم أخلاقها، وقدرتها في إتقان أعمالها في البيت وخارجه، بالإضافة لهذا فإن المرأة بالمنطقة غالبا لا تأخذ حقها من الميراث.

- الاهتمامات الفرنسية بالمجتمع الجزائري:

إهتمت الإدارة الكولونيالية بالمجتمع الجزائري، منذ إحتلالها الأول للجزائر، فقامت بدراسة إقتصاده، وحياته، وثقافته،ودينه، وعاداته وتقاليده، بهدف توفير آليات لنجاح مشروعها الإستيطاني، وقد زاد الإهتمام بمنطقة القبائل للخصوصيات التي تميزت بها إجتماعيا، وثقافيا ولغويا، مما دفع بالقادة العسكريين منهم روبان، هانوتو، لوتورنو، أن يفردوها بأعمال خاصة، وقد إستغل هؤلاء وجودهم بالمنطقة ليدرسوا عادات وتقاليد سكانها[٢٣]،ونمط عيشهم وإبداعاتهم الفكرية والأدبية[٢٤]، وقواعد لغتهم (الأمازيغية)[٢٥]لفهم القوانين التي تسيير حياتهم الإجتماعية، بغرض السيطرة عليهم لا أكثر ولا أقل.

وإن جاءت هذه الأعمال لتكرس المشروع الكولونيالي، إذ سخرت فرنسا الإمكانات المادية والبشرية والمالية، لتوفير جميع شروط النجاح، وهو ما مكن هانوتو في ظرف قياسي أن يمد الإدارة بعدد من الأعمال، التي وإن خدمتها في تفتيت شمل المجتمع القبائلي، إلا أن هانوتو قد أسدى خدمة كبيرة لتراثنا الشفوي بإنقاذه من الضياع، لأن مجتمعنا يفتقد التقاليد التوثيقية والتدوينية لكل ما يخصه من قريب أوبعيد.

كما كان إميل مسكراي من الشخصيات الأكاديمية التي إهتمت بدراسة المجتمعات الأمازيغية دراسة أنتروبولوجية، مهتما بجمع القوانين العرفية في حوض وادي الساحل[٢٦]، وركز في كتابه، على الخصائص الإجتماعية للمجتمع، كالقرية ونظام ثجماعث، مركزا على مجتمع مشدالة.

التعريف بمنطقة مشدالة:

إن من خصوصيات مشدالة -بلدية مايو- أنها واقعة على حدود مقاطعتين مهمتين وهما مقاطعة الوسط؛ الجزائر ومقاطعة الشرق؛ قسنطينة، فهي التي تقود

حوض وادي الساحل الذي يصب في البحر المتوسط (بجاية)، وهي التي تفصل بين حدي جهتي القبائل وهو ما اصطلح عليه" القبائل الكبرى" و"القبائل الصغرى"، وقبائل قسنطينة التي تصل إلى الحدود التونسية، كما أن هذه المنطقة تقع على الحافة الجنوبية لجبال جرجرة، مطلة على الهضاب العليا (برج بوعريريج وسطيف)، وبهذه المميزات يمكن أن نقول: أنها تحتل موقعا جد استراتيجي، مما رشحها لأن تكون ملتقى طرق الثقافات بالخصوص.

وقد رشح موقع المنطقة، لأن تكون العنصر الجامع بين مختلف سكان الجهات المجاورة للمنطقة بفعل "سوقها" المعروف، الذي يُعد فضاءا لانفتاح البلدية على منطقة جرجرة شمالا والبيبان جنوبا، وبين بجاية شرقا وعين بسام وسور الغزلان والحضنة غربا... ومركزا للالتقاء وتبادل السلع والأفكار، حيث أن هذا السوق يجمع بين مختلف الجهات المجاورة للمنطقة، ويلتقي فيه أهل البدو وسكان الساحل فتحدث فرص التعارف والتمازج و التزاوج، كما يعتبر وعاء تلتقي فيه اللغتان الأمازيغية والعربية، حيث يلتقي المتكلمون بالقبائلية وهم من أهالي المنطقة أو قبائلي جرجرة، وبين المتكلمين بالعربية الآتين من بلديات الحضنة وعين بسام، وأومالAumale (سور الغزلان حاليا)...، إضافة إلى هذا الثراء اللغوي، نجد المبادلات التجارية بين سكان جرجرة وسواحلها، بمعنى أن منطقة البيبان مثلا اتجهت في تعاملاتها التجارية إلى آث عباس، وآث مليكش، وآث لقصر، بما في ذلك آث منصور، وشرفة، عوض أن تتجه إلى مجانة والبلدية المختلطة للبيبان.

لقد كثرت الدراسات على القبائل العليا في الفترة الكولونيالية وحتى ما بعدها، بالوقوف على كل كبيرة وصغيرة ترتبط بالمجتمع سياسيا، وإقتصاديا، وإجتماعيا، وثقافيا...، ونفس المنحى أُتُخذ في دراسة القبائل السفلي (بجاية وما جاورها)، إلا أن هذا المنحى لم يكتمل في الكتابات على منطقة إكتنفها النسيان أوالتناسي على أنها هي"الحلقة الواصلة" أو البدن الذي يُشَد إليه العضوان (القبائل الكبرى والقبائل الصغرى)، اللذان يشكلان وحدة متكاملة تسمى "القبائل ".

تتربع البلدية على منطقتين إحداهما جبلية والأخرى سهلية، وتقابلها من الشمال سلسلة جبال جرجرة ومن الجنوب وادي الساحل، فلهذا نجد إختلافا في طبيعة تضاريس العروش المجاورة لها، والواقعة بالجهة الشمالية، إذ تتخللها جبال

اواقوران (واقور)، وآث كاني، وثيكسيغذان، وبعض قرى امشدالن، أما المناطق الواقعة بالسهول فهي آث يعلي، وآث لقصر، وآث عيسى، وآث منصور، وشرفة، وسبخة، وقرى أخرى لمشدالة وهو ما ستشمله دراستنا.

ورغم تعدد عروش هذا الإقليم إلاّ أنه يندرج في وحدة عسكرية وإدارية واحدة، يحمل إسم "بلدية مايو المختلطة " أثناء الاحتلال الفرنسي.

الواقع أن المجال الجغرافي الذي تشمله البلدية، يقتصر مبدئيا على إسم قبيلة تتخذ الجهة الجنوبية لأعالي جبال جرجرة من جهتها الجنوبية موقعا لها، إذ تقع هذه البلدية المختلطة (مشدالة – مايو)، في مقاطعة الجزائر على الحدود مع كل من بلدية تازمالت الكاملة الصلاحيات، وبلدية أقبو المختلطة، والبيبان التابعة لمقاطعة قسنطينة شرقا، أما من الشمال فتحدها عروش القبائل العليا (الكبرى) آث بوذرار، وآث بوعكاش التابعة للبلديتين المختلطتين جرجرة (عين الحمام حاليا)، وفورناسيونال (الأربعاء ناث إيراثن)[٢٧]، ومن الغرب إقليم مدينة البويرة، وإلى الجنوب تحدها دواوير البلديتين المختلطتين عين بسام وأومال وتتربع بلدية مشدالة على مساحة تقدر بـ ١٠٨.٧١٦ هكتارا.

– أصل التسمية:

لقد أثرت العوامل الطبيعية في سكان مشدالة، فجعلتهم يميلون إلى حب الحرية ويسعون إلى الإستقلال عن أية سلطة سياسية منذ القدم، فالسكان لا يرضون بالأجنبي الغازي أومحتل أراضيهم، وسالبا حرياتهم لأنهم إعتادوا العيش الطليق[٢٨]، وما تسميتهم بالأمازيغ إلا دليل على ذلك، بينما يذهب الحسين بن الشيخ إلى تفسيير كلمة الأمازيغ بالسادة النبلاء[٢٩]. يحمل القبائلي في طبعه ونفسيته شعورا قويا بالإستقلال[٣٠]، لقد كون تنظيما إجتماعيا خاصا به تحكمه القوانين والأعراف المنبثقة عنه.

إعتمد المؤرخون الفرنسيون خاصة، على الأصول العرقية واللغوية لتصنيف القبائل، وعلى ظروف نشأتها في بعض الأحيان، وخاصة لما عرفته دراسة أسماء الأماكن Toponymie، المتطورة بفرنسا عن دراسة الألقاب L'anthroponymie، والتي قادها "لونقنون اوغوست"Longnon[٣١] مقدما خدمات كبيرة لفهم سيرورة تاريخها، وهذا ما ينقص دراستنا لتفسير بعض الأسماء

المتواجدة بالمنطقة، فبالنسبة لإسم قبيلة مشدالة، لم نكد نعثر على وثيقة تبين أصل التسمية، إلا ما تعلق بأصولها وجغرافيتها.

تتفرع من قبيلة مشدالة عدة قرى، إشتقت أسماؤها من الأشخاص، أو الأماكن الجغرافية، أومن أسماء الحيوانات، أومن الأحداث التاريخية التي تعكس الحركات القديمة للمجتمعات من هجرة وإحتلال(٣٢)، وإليك بعض هذه الأسماء:

- أسماء ذات دلالة جغرافية:

نبدأ الأسماء ذات الدلالة الجغرافية بقرية "إمْزْدُرَارْ" أي مَزَارِيرْ، وهي كلمة أمازيغية مفردها "أمْزْرَارْ" مركبة من" أَمْزْ" و"رَارْ" وهي إختصار لمفردتين " أَمْزْذَاغْ " و" أَذْرَارْ " ومعنى الكلمتين "ساكنوا الجبال" .

لا تقتصر هذه الدلالات الجغرافية على أسماء القرى، بل تعدت إلى أسماء الوديان والمنابع كـ "ثالا بزرو" الواقعة بقرية اواقورن التي تعني "منبع الصخرة".

- ذات دلالة تاريخية: يتميز الجو السائد بين أعراش مشدالة، بالتلاحم بين أفرادها والتضامن فيما بينهم في الغالب، آث منصور وفرع آث يبراهيم من عرش مشدالة.

وتعود أسبابه إلى إرادة آث منصور، للإستيلاء على ثروات فرع آث يبراهيم، ليتحول الأمر إلى إشتعال الحرب بينهما، عندما رفض فرع آث يبراهيم الإستيلاء على ثرواتهم، ونتج عن ذلك سقوط ضحايا من كلا الجانبين، وقد شاركت النساء في هذه الحرب، وكانت أشهر معركة خاضها المتخاصمان، معركة" أورير أَنْتاَسَا «Aourir n'Tassa» بمعنى "ربوة الكبد" ترميزا لمكان المعركة وقسوتها حيث قامت خلالها إمرأة بنزع كبد أحد الخصوم.

- مشتقة من أسماء الأشخاص:

وهي عديدة في المنطقة مثل آث يبراهيم، وآث علي وثميم، وإغيل حماد، وآث حمدون، فكلها ترتبط بالجد والأوائل الذين أنشأوها، فالأول يعود إلى ابراهيم بن بوبكر، والثاني إلى علي بن تميم، والثالث إلى حماد بن بلكين،كلها مرتبطة بشخصيات تاريخية، أما كلمة آث منصور (بني منصور)، فهي نسبة إلى المنصور أحد قادة القبائل العربية الهلالية، التي دخلت إلى المغرب في القرن الحادي عشر الميلادي، لكن يبقى تأثيرها هنا ضعيفا بدليل إحتفاظ المنطقة بجذورها البربرية ولغتها الأمازيغية.

- مشتقة من أسماء الحيوانات:

كما نجد أسماء مناطق ذات دلالات حيوانية كثيكسيغذان، التي تجمع بين مفردتين أمازيغيتين هما "ثِيكْسَ" و"غِيذَانْ"، ثِيكْسَ مشتق من الفعل الماضي للغة الأمازيغية "يَكْسَا" الذي يعني باللغة العربية "رعى، يرعى" و"ثِيكْسَ أو ثَكَسَاوْتْ" تعني "الرعي" و"غِيذَانْ"، المبتورة من حرفها الأول، الذي يُكَون كلمة "إِغِيذَانْ" بمعني "صغار المعز" وبجمع الكلمتين ينتج المعنى "مرعي المعز" ، ونفس الشيء بالنسبة لقرية " إغيل أويازيظ " التي تجمع بدورها كلمتين "إغيل"ومعناه "الربوة " و"أيَازِيط" تعني "الديك"، وبجمع المفردتين ينتج "ربوة الديك"، أما أواقور، فهي كلمة أمازيغية تعني إسما لنوع من الطيور.

لا يمكن حصر الأسماء في هذه الدراسة، لذا فإننا نتركها للمهتمين بأصول المسميات، لتنطلق منها أعمال قد تربط تاريخ العائلات بتاريخ القرى في حد ذاتها.

أما ما تعلق بإسم "مشدالة" فتعددت الروايات عن أصلها، فهناك من يرده إلى الكلمة الأمازيغية "أَمْشدَّاي"، التي تعني المحارب، وهناك من يرى أن الكلمة مستوحاة من الحشرة ، وهي من النمل ذي اللون الأحمر المسمى بالأمازيغية " أَوَطُّوفْ اَزْقَاغْ"، وهو بذلك يرمز إلى التشبه بنشاطه وحيويته وقوته، وصبر وصمود هذا المجتمع الذي يعمل ويجد كالنمل، بينما يمكن ترجيح الرأي الثالث الذي يقول إنهم جاءوا من آث يني(٣٣) واستقروا بالمنطقةِ ليكَونُوا مع مرور الزمن عرشهم وقبيلتهم الخاصة، وهي الرواية التي وجدناها في الوثائق الأرشيفية (وثيقة Notabilité)، وكذا رواية بوجاجة، الذي كان حاكما على بلدية آث منصور قبل أن ينتقل مقرها إلى مايو مركز، وهذه الرواية تعود إلى السكان الأوائل للقبيلة، الذين كانوا يقطنون قرية "ثغيلت نتوريرث"، فإلتحق بها شخصان من عرش آث يني، باحثين على مكان للإستقرار به، بعدما عجت قريتهما الأصلية بالسكان، ليجدا أن المنطقة تغطيها غابات كثيفة، وعند عودتهم إلى عرشهم تم إخبار عائلاتهم، وإحضارها مع أبنائهم، ليستقروا في المكان المسمى، "تيزي نْتْصُغِيطْ" Tizi N'Sourit، ولما رأى سكان آث منصور، أن أجانب توغلوا وإستقروا في أراضيها، وقفت ضدهم ورفضت مجيئهم، إلا أن الوافدين الجدد، حافظوا على توازنهم أمام حملات المنصوريين، لينضموا إلى نظامهم العرفي، ولكن ذلك لم يدم طويلا، لتنتفض المجموعة من القوانين الجائرة لآث منصور.

وقد تم الخروج من هذه الظروف الصعبة التي كان يعيشها وافدو آث يني، التي أطلق عليها بالقبائلية "الشْدّ"، بعد إقتراح أحدهم إستضافة آث منصور إلى إحدى وولائمهم.

ويجب أن يتزامن طلب مسؤول الفرقة إحضار المأكولات للضيوف، مع تدخل الأفراد المكلفين بتنفيذ عملية القتل في الخفاء، بعد أن يتلقوا إشارة من مسؤول البيت، فقد تم تقديم الدفة، ومع الإشارة المعطاة للشروع في العملية، فكر المضيف في عواقبها، ليقرر توقيف المكيدة صارخا بالقبائلية بذكره كلمة" أَلاَ" أي "لا"، ليأخذ سكان آث بوذرار هذه القضية، بمحمل السخرية، لعدم نجاحها وبفعل ذكرهم المكيدة الفاشلة أي "شْدَ" أَلاَ"، وتكرارهم للكلمتين تكون إسم "مشدالة" الذي أطلق على سكان المنطقة(٣٤).

ومهما تعددت الروايات فإن العرش يعود إلى أصل بربري، وهو أحد بطون قبيلة زواوة الكبرى، التي تتفرع إلى آث كوفي، ومشدالة، وبني رزيقف، وبني مرانة، وآث منقلات، وآث غبرين، وآث جناد، وآث واقنون، وفراونس، وآث يراثن، وافليسن ...(٣٥).

ويعتبر عرش مشدالة الأهم بين العروش الأخرى، إذ تصل حدوده إلى قسم هام من غابات أحنيف، المجاورة لوادي الساحل، التي تعتبر كثافتها السكانية الأكبر مقارنة بالعروش الأخرى، وقد قسمت إلى تسعة فروع ، وتتضمن هذه الفروع خمس عشرة قرية.

وتعود أهميتها إلى ماضيها التاريخي، فقد أشار إليها ابن خلدون في كتابه العبر، على أنها بطن من بطون زواوة، القبيلة التي تنتمي إلى كتامة ذات الأصول الأمازيغية(٣٦)، ولم تتحدث المصادر عن هجرة هذا العرش (القبيلة)، فبقي العرش متشبثا في أرضه، وهو ما يؤكد أن تواجده في حوض الساحل قائم منذ القدم، ولم تحتم عليه الظروف الإنتقال إلى منطقة أخرى للإستقرار، مما سمح له أن يَسُن قانونا عرفيا، يعرف ب"لوفق" يسير فيه كل شؤون العرش.

وإذا اعتبر ابن خلدون أن القبيلة، بطن من بطون زواوة، فإنه الشئ الذي ذهب إليه أيضا ايرنست ميرسيي M. Ernest Mercier(٣٧)، في كتابه تاريخ إفريقيا... ،عندما أدرج مشدالة كجزء هام من كنفيدرالية زواوة، لما عرّج في حديثه على منطقة زواوة في الفترة الإسلامية، كما خضعت مشدالة لأمراء بجاية،

ثم الأتراك، حيث إختارت إحدى قوافل باي قسنطينة، المكان المسمى"إفثيسن"، الواقع بقرية آث يبراهيم، كمركز للراحة، ويدفع العرش ضرائبه إلى قايد حمزة(٣٨)، وعند القضاء على الحكم التركي، بقيت المنطقة مستقلة إلى أن أخضعتها السلطات الفرنسية سنة ١٨٥٠، إلا أنها أقدمت على تخريب وحرق منتزه "ثالة رانة" المخصص لملحقة آث منصور العسكرية سنة ١٨٦٤، وتشارك في ثورة ١٨٧١، حيث تم مصادرة أراضيها، لصالح إنشاء مركز مايو الإستيطاني، وبذلك تفعيل آلياته الإستدمارية لاستئصال مقومات المجتمع الجزائري الدينية والثقافية، وإفراغه مع تفكيك وحدته الكامنة في نظامه القبلي وقوانين العرفية.

المرأة والقوانين العرفية المشدالية:

تعتبر القوانين العرفية ميزة هامة في بلاد القبائل، التي تترجم طبيعة مجتمعه الذي يحمل خصائص سياسية، وإجتماعية، وجغرافية، إذ كان نظام الجماعة القائم على التسيير الجماعي لمصالح أهل القرية، البديل على غياب الدولة(٣٩)، التي تُوفر الأمن والإستقرار الضروريين، كما حرص السكان على مقاومة وعورة المناخ والتضاريس الصعبة، وهو ما جسدته القوانين العرفية، بحماية الأرض ومنتجاتها، فلم تترك هذه القوانين شيئا إلا وذكرته، وأخضعته لقانون يحتمي به أهالي القرى.

يتضمن القانون أحكاما ردعية في مختلف الميادين، الشيء الذي من خلاله تتمكن الجماعة من فرض النظام والإحترام في القرية، فلا يسمح بالخطأ، طالما أن القانون واضح، فترجع مصادر هذه القوانين إلى العرف، الذي في غالبه يعتمد على التجربة والحكمة والعادة، إضافة إلى مصدر "الشريعة الإسلامية".

يتضمن العرف، بنودا خاصة بالإستثناءات والحقوق، وحوادث القتل والثأر، وطبيعته، والدفاع الشرعي، والعلاقات والعقوبات، وقانون السكن، حتى النفي، والقتل، والمصادرة وحماية الحرمات الدينية، والملكية الشخصية، وحصانة الجماعة وإنتظامها، إضافة لكل هذه الإهتمامات، فالقانون العرفي ركز على شؤون المرأة بشكل يثير الإهتمام والتساؤل على مكانة المرأة فيها ، وكيف يعتبرها المجتمع؟

وللإجابة عن هذا التساؤل، لا بد علينا من قراءة متأنية، نبرز من خلالها بنود الإجتهاد الفكري لدى الرجل، فكما أعطاها بعض الحقوق حرمها من أخرى، وهو ما سنبرزه هل هو في حماية المرأة، أوفي إذلالها.

القوانين[٤٠]	مجموع المواد	الخاصة منها بالمر
عرش عدني	٩١	٢٧
الجمعة نصهاريج	٩٤	١٨
عرش آث يعلى	٨٩	١٨
عرش آث لقصر	٨٥	١٦
عرش إمشدالن	٩٨	١٥

يظهر لنا هذا الجدول، حضور المرأة في قوانين القرى والعروش بمنطقة القبائل، رغم عددها الصغير مقارنة بمجموع مواد القوانين، مما يوحي لنا بالصبغة الذكورية، التي صبغت بها هذه القوانين، وذلك راجع لهيمنة الرجل على مجريات الأحداث، وتحكمه في شؤون الحياة، وشؤون المرأة، التي يعتبرها ضلا تابعا له، لكن هل يمكن أن ننزل إلى داخل هذه القوانين لمعرفتها حق المعرفة، وهل هي محل إذلال أو إنصاف للمرأة؟

تمثل المرأة العمود الفقري للبيت، حتى أن الكثير من أهالي القبائل يرون في المرأة أبهة المنزل، لا يمكن الإستغناء عنها، فالبيت الذي لا توجد به امرأة بيت مهجور بلا دعامة، إذ يصفها الفنان الشاعر سليمان عازم[٤١]:

A Thaqbaylith بمعنى: يـــا قبائليـــــــة
A Thigedjdith ياعـرصة الـــــدار
A Thin Fyebna Waxxam عليك بُني البيـت

ونظرا لتعدد إهتمامات سكان المنطقة، فإنهم لا يلتفتون كثيرا إلى حياة المرأة، حتى أنهم قيدوها بسلسلة من العادات والمعتقدات التي يجب ألا تحيد عنها، فلذلك كانت حياتها مرسومة من ميلادها إلى وفاتها، وفق ما يمليه عليها المجتمع، حتى أنها لا تختلف في تفاصيلها من إمرأة لأخرى، فحياتهن عبارة عن نسخة واحدة.

إذ يعتبر ميلادها مشئوما ومثارا للحزن والغم، ويكتئب البيت وتُلام الأم على عدم قدرتها على إنجاب ذكر يحمل إسم العائلة، إلى حد أنها تشعر بالخوف وذلك ما يؤدي بها إلى الطلاق والعودة إلى بيت أهلها مطأطأة الرأس(٤٢)، فالصبية لا تلقى أدنى إهتمام، مقابل الإهتمام الذي يلقاه الصبي من جنس الذكور، فإذا كانت الطفلة تبكي فلا تسرع أمها لإسكاتها، وحتى إن رغبت في ذلك، فهي تمنع. على أساس أنّ على الطفلة، أن تتعلم الصبر لأن عائلة الزوج ترى أن الضرب والقوة، يعلّمان الأنثى الطاعة والخضوع للزوج، عندما تكبر(٤٣) فإذا كانت المرأة عاقرا فمصيرها الطلاق، أما إذا كانت منجبة للذكور، فهي أكثر شأنا وقدرا في المجتمع، تكافأ برصع صدرها وجبهتها بحلي قبائلي يعرف بـ "الأفزيم".

كما تعيش المرأة العاقر حياة أخرى من الضغط النفسي، على أنها سبب في قلق العائلة، وزعزعة شرفها المهدد للبيت بأكمله، لذلك فهي عبء كبير وثقيل عليه (٤٤)، يجب التخلص منه بتزويجها منذ الصغر، دون الأخذ برأيها، وبدون مراعاة مصلحتها، لتجد الطفلة أو المرأة المسكينةعندئذ، إلا الشعر مؤنسا وحيدا، لترسم من خلاله لوحة من معاناتها، وفي ذلك قولها(٤٥):

A yemma Henna	بمعنى: يـــا أمـــــي الحنونـــــــة
Fkanniyi-Uraalim-agh	زوجـــوني من غير علمي
Ghran l'Fatiha	لقـــــد قـــرأوا الفاتحـــة
Nek Smuqul-agh	وعلى مـــرأى عينـــــــي
Da Bubar kach	واختاروا لي البرقش زوجا
Azzeka ad Rewlegh	فغـــــــدا عليَّ الفـــــرار

هذا ويتم الزواج وفق مراسيم معينة وما تقتضيه تقاليد المجتمع، ويتكفل أهل القرية بإيصال العروس لبيت عريسها (٤٦)، لتبدأ حياة أخرى وسط ألامها وأحزانها ومسؤولياتها، ويعاقب من تخلف عن ذلك، بغرامة قدرها ريالان إثنان(٤٧).

كما تسلب منها حريتها، لمّا يُزوجها وليها في سن الطفولة المبكرة، مع تأجيل دخولها إلى بيت زوجها إلى سن البلوغ، وكثيرا ما أسفر هذا العمل عن عواقب وخيمة، كأن يحطم مستقبلها، عندما يتراجع وليها عن تزويجها ،بعد بلوغها سن الرشد، في حين يتمسك الرجل بها، بحجة أنها زوجته، فيقوم

بتعليقها المعروف عند السكان ب" ثمحطنت أو ثمعوقث" أي برفض تطليقها، ويطلب أضعاف مهرها، لكل من يتقدم لطلب يدها، كما حرمت من صداقها ومن النفقة خلال فترة خصامها مع الزوج(٤٨)

أما الطلاق بالمنطقة، فهو متوقف على قرار الزوج، إن أراد الفراق النهائي معها، أو عدم التفريط فيها إن أراد معاقبتها، أما إذا رفض الزوج الطلاق أصلا، وأصرت المرأة على ذلك، أي على مغادرة البيت، فإنها تعرف ب" ثَمنَافَقْث" بمعنى المتمردة، ويفقد الأب بذلك حق التصرف في أمرها، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، ففي بعض القبائل إن مات الزوج يستلم أقاربه القضية، ويواصلون المطالبة بالمبلغ الذي حدده زوجها مقابل حريتها، كما منع زواج المرأة خلال فترة العدة(٤٩)

بالإضافة إلى كل هذا، فقد أَنتزع منها حقها المشروع في الإسلام، وذلك بمنعهامن إرث أبيها أوزوجها، وهذا ما وقع في حدود سنة ١٧٤٩ بعرش آث واسيف، حيث حُرمت المرأة من ميراثها(٥٠)حفاظا على وحدة القرية وتماسك العائلة، وحرصا على عدم تجزئة الأراضي، ودخول أزواجهن الغرباء إلى القرية.

لكن رغم صعوبة الحياة ومشاقها إلا أن النساء، كن يضْفِين على حياتهن بعض الفرح والتسلية، فقد كن يحفظن أغاني معينة، يرددنها أثناء عملهن في إدارة الطاحونة عند طحن القمح، أو خلال النسيج، أوعند قيامهن بإعداد الفخار وجني الزيتون(٥١)وسط مجموعة من الأغاني، ثم يختتم ذلك كله بالرقص عند نهاية هذه العملية(٥٢).

وترى القوانين العرفية أن حماية الأسرة، من حماية المرأة، وذلك بصون عرضها من المنحرفين والمعتدين، فقد حماها من ويلات الزمن، وتجاوزات الرجال الذين تسلط عليهم عقوبات، وذلك بتطبيق القانون العرفي، كأن تطالب زوجة المعتدي أو الزاني مثلا بالانتقام منه، بتسليط عقوبة قدرها مائة ريال،لأن هذا السلوك يَعد إنتهاكا لعرضها من قبل زوجها الخائن(٥٣)، ويدرج هذا الحرص من الأسرة في إطار الحماية من الرذائل، بمعاقبة الفرد المقصر في حق أسرته، كإرتكابه الفواحش ، كما حارب قانون عرش آث كاني، الفساد في الأعراض، باعتبار الإجهاض جريمة تستوجب القصاص من أهل المرأة، إذا كان الجنين ذكرا، أما إذا كان الجنين أنثى، فيتوجب عليهم دفع الدية لزوجها(٥٤)، كما حرص

القانون العرفي على حماية الطفولة، عن طريق منح كفالة الرضيع للأم، في حالة الخصام مع زوجها، مع إلزام الزوج بدفع النفقة المقدرة ستة دورو سنويا، لمدة ثلاث سنوات(٥٥).

كما كفل القانون العرفي حقوق المرأة، بتخصيص قطعة أرض خصبة لها، تتوفر على أشجار مثمرة، وبيت صغير يعود للأهل، ليقيها شر الحياة وتقلبات الزمان من التشرد، في حالة الطلاق من زوجها، أووفاة والديها(٥٦)

كما منع القانون ضرب وإهانة الرجل من أقربائه، أمام زوجته، أو إبنته، أوأخته، أما قانون شرفة، فقد أقرَّ حق المرأة المتزوجة في طلب الطلاق، عندما يكون زوجها مصابا بالعجز الجنسي، شريطة إنقضاء سنة واحدة على هذا الزواج(٥٧)، ولم يتوقف القانون العرفي على حماية المرأة، بل سن أيضا قوانين لمعاقبتها، فإذا ثبت ارتكابها فاحشة الزنا، فعقوبتها القتل(٥٨)،فرأى قانون آخر في المرأة المروجة للفسق أنها غير مرغوب فيها، بل أُحلَّ هَدر دَمِها(٥٩).

كما حافظ القانون العرفي على خصوصية المجتمع القبائلي، في الحشمة، وعدم الإختلاط بين الجنسين(٦٠)، خاصة في الأماكن التي عرفت المرأة القبائلية بتوافدها إليها، كمنابع المياه، التي تقصدها لتلبية حاجاتها، مثل ملأ الجرار...إذ حدد لها وقتا خاصا، ووقتا آخر للرجال، الذين يطلب منهم تفادي الغناء الفاحش، أوالقيام بتصرفات تمس شرف المرأة وكرامتها(٦١).

وإذا كانت المنابع مراكز إلتقاء النسوة لقضاء حاجياتهن، فإن الجماعة سنت بنودا، هدفها الحفاظ على المياه وترشيد استغلالها، والحرص على عدم تبذيره، إذ تعاقب كل امرأة تسرف في استغلال الماء، أوإتخاذ المنبع كمغسلة أو كمكان لغسل الملابس، بغرامة قدرها ثلاثون سنتيماً (٦٢).

كما جسد القانون العرفي لعرش مشدالة، أسس التضامن بين الأسر في الأفراح والأتراح، ما دامت المرأة هي أساس الأسرة، إذ تتضامن النساء مثلا مع عائلة المتوفى يوم الجنازة، والعمل على مساعدة الأسر المبتلاة بالمصائب، بتحضير الوعدة، والعمل بها ، كما ضرب هذا القانون العرفي بلغة الحديد على كل من يتغيب عن مراسيم الجنازة(٦٣).

وما نستخلصه أن هذه القوانين إرتبطت بالظروف الإجتماعية الصعبة للمرأة، التي عاشتها في المجتمع القبائلي والبيئة الطبيعية القاسية، وجعلت منها كائنا

في خدمة الرجل، تنحصر مهمتها في تربية الأبناءبالبيت، وما جسدته قوانين العرف السائدة في قرى وعروش القبائل دليل على ذلك، حيث جسد قوة الرجل، التي لا تضاهيها قوة المرأة المغلوب على أمرها، فالذهنية الذكورية تلك ألحقت بها جروحا لا تندمل، والتي إختزلها الرجل في خدمته وطاعته وإنجاب الأولاد، لكن رغم ذلك فإنه منحها بعضا من حقوقها، التي تحميها أحيانا من غرور الدنيا.

حواشي البحث:

(١) شهادة الدكتور سعيد شيبان، جراح طب العيون ووزير سابق، مقابلة بمقر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بحسين داي، يوم ٢٠ مارس ٢٠١٤ على الساعة العاشرة صباحًـــا.

(٢) شهادة السيد الطيب هنية.

(٣) يمتد أصلهم إلى الفاتحين للأندلس، وكان جدهم الاول بلعباس وشريف ثم الشيخ محمد أوشنتير، انتقلوا من الساقية الحمراء ليصلوا إلى مليانة
منتقلين إلى ثيزي الخميس، جهة برج بوعرريج ليستقروا بعدها في بوجليل في القرن التاسع الهجري، وتفرعت إاى ست عائلات أثناء التواجد=
= الفرنسي بتطبيق الحالة المدنية منها هنية وبن سعد ... والشيخ علي أوشنتير ينتمي لهذه العائلة. .

(4) Hanoteau et Letourneux, , La kabylie et les coutumes Kabyles, T1, 2éme Édition, Challamet, Paris, 1893., p. 61.

(5) Alain Mahé, Histoire de la Grande Kabylie XIXè-XXè Siècles, Anthropologie Historique du Lien Social dans les Communautés Villageoises, Editions Bouchene, 2000, (٦٦٨), p. 106.

(6)Bourdieu, Esquisse d'une Théorie de la Pratique Précédée de Trois Etudes Ethnologie Kabyle, Paris et
Genève, Droz, 1977, ,pp. 15-44.

(7) Alain Mahé, op.cit., p. 106.

(8)Alain Mahé, op.cit., p. 108.

(٩) مجهول، كيفية سيرة الزواوة، مخطوط، المكتبة الوطنية، رقم ٣٠٢١، ورقة ٥.

(١٠) نفسه ، ورقة ٥.

(10) Rozet et Carette E, Algérie , Paris, Firmin Didot Frères, Edition Imprimeuse de l'Institut, 1850, p. 220.

(١١) حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريف وتحقيق محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP ، الجزائر، ٢٠٠٦، ص. ٦٢.

(١٢) عبد الرحمان ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم، من ذوي السلطان الأكبر،ج١٢، موفم للنشر، ١٩٩٥، ص.٢٠٧.

(١٣) القانون العرفي لعرش امشدالن، المادة ٦٦ إلى ٦٨ أنظر:

- Hanoteau et (A) Letourneux, la Kabylie et les Coutumes Kabyles, T III, Edition Bouchene, Paris, 2003,

p. 303.

(١٤) القانون العرفي لعرش امشدالن، المادة ٦٦ إلى ٦٨ أنظر : ٣٠٣ Hanoteau et (A) Letourneux, op.cit., p.

(15) Daumas (M) et Faber (M), La Grande Kabyle étude historique, Libraires de l'Université Royale de France,

1847, p.38.

(١٦) مجهول، المصدر السابق، ص.١.

(١٧) شابحة بداك ، الممارسات للمجتمع الجزائري، دار السعادة، (د،ت، ن) ص ص. ٣١-٣٢.

(18) Hanotaux et Letourneux (A), op. cit., T1, Imprimerie Nationale MD GGGL XX II, Paris, p.345.

(19) Idem, p.345.

(٢٠) هي قيونة، منطقة واقعة في شمال البرازيل بقارة أمريكا اللاتينية، إتخدتها السلطات الكولونيالية الفرنسية كأرض للنفي فيها سجون وإقامات جبرية، يلحق إليها كل متمرد وخارج لقوانين وطاعة فرنسا.

(٢١) تعود هذه الواقعة إلى سنة ١٩٢١ أين تمكن محند يحي من قتل أحد الإداريين، فتم نفيه إلى كايان وحكم عليه بعشرين سنة، أرشيف آكس آن بروفانس، إلا أن عدم وصول رسائله إلى الأهل مدة من الزمن ظن أهله أنه توفى، ولعلمهم أن كل من ذهب إلى تلك البلاد لا يعود، لكن القدر كتب له أن يعيش، ويعود إلى أرض الوطن سنة ١٩٤٦، ليجد حرمه قد تزوجها أخاه، فلم يقل شيئا ما دامت العائلة قررت والأعراف نفذت، بعدم ترك إمرأة بدون زوج.

(٢٢) تزوجت المرأة بأخ زوجها، لترضخ للأمر الواقع، لتفجر صبرها في أشعار نظمتهم، تسرد فيها حالتها المأسوية، لتزداد سوءا وتمزقا عند عودة زوجها الأول، ويعيشون في البيت العائلي الكبير، ليتخلل صبرها في وسط ألامها وأحزانها، لتجد الأنس في تنظيم.

(٢٣) أصدر هانوتو كتابه المعنون: منطقة القبائل وطبائع أهلها La Kabylié et les Cotumes Kabyles سنة ١٨٧٣ في ٣ أجزاء، ويشير
هانوتو في مقدمة كتابه، على أهمية هذا الإنجاز العلمي في مساعدة الإدارة الفرنسية، على بسط نفوذها على المنطقة.

(٢٤) في سنة ١٨٦٧، أصدر كتابه على الشعر الشعبي لقبائل جرجرة Poésies Populaires de la Kabulié de Djurdjura.

(٢٥) أصدر سنة ١٨٥٨، كتابا على قواعد اللسان القبائلي

(٢٦) من أهم هذه القوانين بهذه المنطقة الواقعة على الطريق الوطني رقم٥، هي: قانون عرش آث منصور، عرش شرفة، عرش سبخة، عرش مشدالة،
عرش، عرش آث يعلى، ورش آث كاني، وعرش آث عيسي، وعرش آث لقصر أنظر:
.- Emiles Masqueray, Formation des Cités chez les Populations Sédentaires de l'Algérie (Kabylie du djurdjura,
Chaouia de L'Aurés et Beni Mzab), Ed. Sud, Lacalade, Aix-en-Provence,1883 , pp263-318.

(27) C.A.N. (national chivesrA'Centre d) , Fonds Microfilm, Bobine 1HH 14, Statistique des Ordres Religieux- Récapitulation Cercle,
Commune Mixte, Commune pleine Exercice, division d'Alger Année 1851.

(٢٨) مارمول كربخال، إفريقيا، تعريب محمد حجي وآخرون، ج. ٢، مكتبة الـمعارف، الرباط، ١٩٨٤، ص. ٣٧٧.

(٢٩) الحسين بن الشيخ آث ملويا، القانون العرفي الأمازيغي، ج. ١، دار هومه، الجزائر، ٢٠٠٠، ص. ٢٧.

(٣٠) وليام شالر، ، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (١٨١٦-١٨٢٤)، تعريب وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ش. و. ن، الجزائر، ١٩٨٢، ص. ١١٦.

(31) Albert Dauzat, les Noms de Lieux, origines et évolution, villes et villages, Pays-Cours d'eau, Montagnes-
lieux dits, Librairie Delagrave, Paris, 1932, p. 1.

(32) Idem.

(33) A .privée chivesrA) P), Notabilités 1892.

(34) Manuel Bugeja, « Monographie de la Commune Mixte de Bni Mansour (Département D'Alger) », *bulletin de la Société de Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord*, Tome Vingt Six, Année 1921, pp. 58-59.

(٣٥) ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق،ج. ٦، ط. ٥، ص. ١٥٢.

(٣٦) ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ج. ٦، ط. ٥، ، ص. ١٥٢.

(37) M. Ernest Mercier, Histoire de l'Afrique Septentrionale(Berbèrie) Depuis les Temps les Plus Reculés Jusqu' à la Conquête Française, T.1, Ernest Leroux Editer, Paris, 1888, p .59.

(38) Manuel Bugeja, op.cit., p.59.

(٣٩) غياب قوة الدولة المركزية المتمثلة في الأتراك العثمانيين، أدى إلى استقلال المنطقة من السلطة المركزية، وهو ما أظهر ذهنية التحرر والاستقلال في المجتمع.

(40) Hanoteau et Letourneux, op.cit., pp. 300–310 .

(٤١) من قرية اقن قغران التابعة لولاية تيزي وزو، عرف بشعر الحكمة والأمثال، عاش بالمنفى إلى أن توفي بها ودفن هناك، كما عرف بشاعر الغربة، لغنائه للغربة و المنفى، غني لإستقلال الجزائر في رائعتيه" أفاغ أيجراد ثمورثيو" بمعنى "أخرج أيها الجراد من بلدي" مشبها فرنسا بالجراد، و"يظهرد واقور" بمعنى "ظهر الهلال"، وهو رمزية لإستقلال الجزائر ورفرفة هلالها أي علمها.

(٤٢) أمحمد جلاوي، أشعار شعبية من قبائل جرجرة، قراءة نقدية في كتاب هانوطو، منشورات زرياب، الجزائر،٢٠٠١، ص .٨.

(٤٣) كيسة بولجنت، منطقة الزواوة من خلال التراث المخطوط في الفترة الحديثة، ماجستير في الحديث، إشراف د/ مختار حساني، جامعة الجزائر، ٢٠٠٩ /٢٠١٠، ص.٣٣.

(٤٤) نفسه، ص. ٣٣.

(٤٥) أمحمد جلاوي، المرجع السابق، ص. ٢٠٦.

(٤٦) قانون عرش مشدالة، المادة١٠. أنظر: Hanoteau et (A) Letourneux, op.cit., p. ٣٠٣

(٤٧) قانون بلدية جرجرة المختلطة، المادة ٦٩. أنظر: Idem, p.310.

(٤٨) قانون بلدية جرجرة المختلطة، المادة ٧٠. أنظر: Idem, p307

(٤٩) قانون آث محمود، المادة ١٢. أنظر: Idem, p310

(٥٠) محند أرزقي فراد، المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية ١٧٤٩ ١٩٤٩، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، إشراف أرزقي شويتام، جامعة الجزائر،٢٠١٠ /٢٠١١ ، ص. ٣٧٦.

(٥١) يوسف نسيب، مختارات من الشعر الشعبي، ترجمة لخضر سيفر، مراجعة عبد القادر عبيدين محمد يحياتن، حميد بوحبيب، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، ٨٠٠٧، ص. ٥٧.

(٥٢) فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي ١٨٣٢ ١٨٣٧ ترجمة و تقديم ابو العيد دودو،(ش. و. ن. ت) ، الجزائر(د .ت .ن)، ص. ٩٦.

(٥٣) قانون قرية شرفة قيغيل قيكن، المادة ١٢٢. ٣٠٣ Hanoteau et (A) Letourneux, op.cit., p.

(٥٤) قانون عرش آث كاني، المادة ٥٣. Emiles Masqueray, op. cit.,pp– 263-318.

(٥٥) قانون قرية آث سيدي يحي، عرش ازفون، المادة ١٩. ٣٠٣ Hanoteau et (A) Letourneux, op.cit., p.

(٥٦) قانون قرية آث يحي كوكو، المادة ١٣، جمعة نصهاريج، المادة ٢. Idem.p.303.

(٥٧) قانون شرفة، المادة ٣. Emiles Masqueray, op. cit.,pp.370.

(٥٨) قانون عرش عمراوة، المادة٤. Hanoteau et (A) Letourneux, op.cit., p 303

(٥٩) قانون أقني نتسلنت Idem, p.303.

(٦٠) قانون عرش عدني المادة ١٥٧. Idem., p.303.

(٦١) نفسه. Idem, p.303

(٦٢) قانون عرش مشدالة، المادة ١٣٢. Emiles Masqueray, op. cit. ,pp 263-318.

(٦٣) قانون عرش مشدالة، المادة ١٣٢. Emiles Masqueray, op. cit. ,pp 263-318.